البناء
السنة السابعة / الجمعة / 11 أيلول 2015 / العدد 1881
Seventh year / Friday / 11 September 2015 / Issue No. 1881

ناصر قنديل

تعود الصباحات إلى حديث الجمعة هذا الأسبوع، حاملةً معها «قالت له» بكلام عن الحبّ الأوّل والحبّ الجديد وما بينهما. كما تعود الرياضيات ولعبها بالكلام وتبدّل الأحرف فتتبدّل المَعاني. وقبل المشاركات السخيّة من مشاركات مبدعات، يأتي المختصر المفيد المقروء أيضاً اليوم على صفحات «الشروق» التونسية و«الثورة» السورية، وفيه توليفة تربط «جبهة النصرة» ببتريوس ويعالون وجنبلاط.

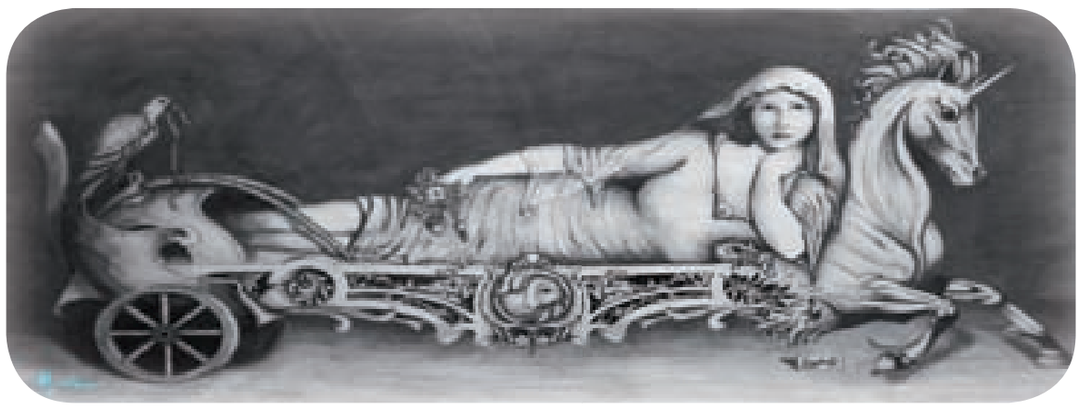

مختصر مفيد*

«جبهة النصرة»... بين بتريوس ويعالون وجنبلاط من اغتيال رفيق الحريري إلى وحيد بلعوس

● في مطلع حزيران عام 2006، قامت وحدات أميركية متخصّصة، بالتخلص من قائد تنظيم «القاعدة والجهاد» في العراق أبو مصعب الزرقاوي في عملية مركّبة تضمّنت الإعلان عن قصف جوّي قضى فيه الزرقاوي. لتكشف التقارير الأميركية عن عملية كوماندوس نفّذتها الـ«دلتا فورس»، ألقت القبض على الزرقاوي جريحاً، وقامت بتصفيته وفقاً لما أوردته «صنداي تايمز» عن مصادر استخبارية. ومنذ ذلك التاريخ، وبعد سلسلة تغييرات لقادة التنظيم، بدأ يبرز اسم «جبهة النصرة» في بلاد الشام كمنافس لتنظيم «القاعدة والجهاد في العراق»، خرج من رحمه واستقلّ عنه، لكنه يحافظ على البيعة والولاء لأمير «القاعدة» أسامة بن لادن الذي اغتيل هو الآخر في أيار 2011 على يد الأميركيين، في عملية صار ثابتاً أنها تمّت بالطريقة ذاتها التي تمّ عبرها التخلص من أبي مصعب الزرقاوي، ليتسلم القيادة بعده أيمن الظواهري، ويتحول «تنظيم النصرة» إلى الفرع الرسمي لتنظيم «القاعدة»، ويتحول ورثة الزرقاوي إلى ما عُرف لاحقاً باسم تنظيم «دولة العراق الإسلامية»، ثمّ «دولة العراق والشام»، ولاحقاً عُرف باسم «داعش»، ويخرج عن إمرة تنظيم «القاعدة».

● التعرّف إلى حقيقة «جبهة النصرة» وخلفيتها، والتي صارت اللاعب الرسمي باسم تنظيم «القاعدة» في كل من سورية ولبنان وفلسطين والأردن والعراق، يسمح بمعرفة الكثير عن أسباب إقصاء الزرقاوي وبن لادن عن الواجهة. والتعرف إلى سرّ العلاقة بين «النصرة» والظواهري، ولمن يعملان معاً، وهل يمكن القول من خلال التعرّف إلى قاتل الزرقاوي وبن لادن، اتهام «النصرة» والظواهري بالعمل لحساب الأميركيين، الذين قاموا بإزاحة المنافسين من طريق تقدّم ثنائيّ «النصرة» والظواهري؟

● لا عمل لـ«القاعدة» بعد زمن «النصرة» إلا حيث تعمل «النصرة». فمهمة الظواهري تقتصر على منح غطاء تنظيم «القاعدة» لأفعال «النصرة» ومواقفها، والتهمة للأميركيين بإنتاج «النصرة» ومنحها غطاء «القاعدة» بالمجيء بالظواهري كرجل أميركا داخل «القاعدة» لموقع الرجل الأول في «القاعدة» مشروعة، طالما أن العمل الاستخباري ليس مجرد أفعال انتقامية، بل إغلاق سياقات لفتح سياقات أخرى. لكن التهمة هنا لا تبقى مجرد تحليل واستنتاج، فقد أتاح نموّ تنظيم «جبهة النصرة» في الحرب على سورية التعرّف عن كثب إلى التنظيم ومكانته في الحرب الأهمّ لواشنطن في القرن الواحد والعشرين. الحرب التي يترتب على ربحها أو خسارتها مصير التوازنين الأهم عالمياً وإقليمياً، التوازن الأميركي - الروسي والتوازن «الإسرائيلي» - العربي. ومعهما التوازن الأميركي - «الإسرائيلي» في وجه إيران. وفي قلب كل ذلك توازن الصراع على ممرات أنابيب النفط والغاز التي تشكل سورية نقطة التقاطع الوحيدة فيها كلها.

● تبقى التهمة تحليلاً سياسياً إلى هنا على رغم وجاهة التساؤل عن إمكانية التدفقات التي شهدتها سورية لمقاتلين أجانب لحساب «النصرة»، بلا رضا دول الحدود وشراكتها. وكلها تدور في الفلك الأميركي على رغم محاولة نائب الرئيس الأميركي جو بايدن حصر المسؤولية برهانات الحلفاء الأتراك والخليجيين، حتى جاءت تصريحات الجنرال ديفيد بتريوس عن «النصرة» كحليف يؤتمن على المصالح الأميركية. وبتريوس هو الذي أشرف على عملية التخلص من الزرقاوي كقائد للقوات الأميركية في العراق يوم مقتل الزرقاوي. كما أشرف على التخلص من بن لادن من موقعه كمدير لوكالة الاستخبارات الأميركية المركزية «سي آي أي»، ومثله جاء كلام وزير الحرب «الإسرائيلي» موشي يعالون عن «النصرة» كجهة تؤتمن على أمن «إسرائيل»، لتتضح الرؤيا بما لا جدال فيه حول هوية «النصرة» كشراكة أميركية «إسرائيلية» لخوض الحروب بالوكالة بعد استنفاد الحروب المباشرة للجيوش الأميركية والغربية و«الإسرائيلية»، وبروز الترجمة الأذكى للحروب الذكية.

● عند مقتل الشيخ وحيد بلعوس في محافظة السويداء، وقف النائب اللبناني وليد جنبلاط الذي يُفترض أنه حليف الشيخ بلعوس المعروف كمعارض للدولة السورية، ووجّه جنبلاط الاتهامات للدولة السورية، كما وجّه مثلها يوم اغتيال رئيس وزراء السابق رفيق الحريري. وبعد أيام قليلة ألقى مؤيدو الشيخ بلعوس القبض على وافد أبو ترابة، من «جماعة النصرة»، فاعترف بوقوفه وراء اغتيال الشيخ بلعوس ووثّقوا اعترافاته أمام مشايخ السويداء وسلّموه للأجهزة الأمنية ليكشف علاقته بجنبلاط ويتحدّث تفصيلاً عن لقاءاته بممثليه لدى زياراتهم للأردن. فردّ جنبلاط بوصف أبي ترابة بأنه أحمد أبو عدس الدرزي. تذكّرنا أن أحمد أبو عس هو الذي عرفناه في شريط فيديو مسجل بثّته قناة «الجزيرة» يوم اغتيال الحريري، يعلن مسؤوليته عن عملية الاغتيال بالتعريف بتنظيمه المجهول يومذاك، واسمه «جبهة النصرة والجهاد في بلاد الشام»، وهي «النصرة» التي امتدحها بتريوس ويعالون واعترف على علاقته بها أبو ترابة.

● نتذكّر أن جنبلاط كان في اليوم ذاته الذي امتدح فيه يعالون «النصرة»، قد أعلن رفضه توصيف «النصرة»، التي أعلن عن وجودها أبو عدس، كتنظيم إرهابي. واصفاً إياها بالاعتدال. ويوم ارتكبت «النصرة» مجزرة «قلب لوزة» دعا الدروز إلى التهدئة لأن «النصرة» حليف والحادث فردي، عارضاً حلفاً مع «النصرة» يُخرج الدولة السورية من محافظة السويداء، من دون أن يخفي علاقة «إسرائيل» بتقديم الضمانة. وفي اليوم الثاني كان الجنرال مارتن ديمبسي رئيس أركان الجيوش الأميركية يزور «تل أبيب» ويعلن أنه موجود للبحث بتشكيل ميليشيا في السويداء تشبه تسليح عشائر العراق لحمايتها من الخطر.

● هل يهمّ المحكمة الدولية الخاصة باغتيال الحريري أن تطلب الاطّلاع على التحقيقات السورية مع أبي ترابة؟ إذا أخذنا بالاعتبار ما هو ثابت حول نيّة كل من الحريري وبلعوس قبيل اغتيالهما، ومصارحتهما جنبلاط بهذه النية ومضمونها التصالح مع الدولة السورية. وإذا كان شهود نيّة بلعوس عن التحوّل موجودين، فأنا شخصياً قدّمت شهادتي للجنة التحقيق الدولية حول ما صارحني به الحريري عن هذه النيّة وعن ابتعاده عن جنبلاط.

ناصر قنديل

*ينشر هذا المقال بالتزامن مع الزميلتين «الشروق» التونسية و«الثورة» السورية.

قالت له

قالت له: هل يموت الحبّ، أم هو نبتة أزلية لا تموت؟ وإن كان أزلياً فكيف نحبّ في الحياة أكثر من مرّة؟ ولو بقي بينها ما هو أشدّ حضوراً بالدرجة والقوة؟

فقال لها: الحبّ كائن حيّ يولد ويموت. وله روح تتألم وتفرح وتحزن. ويكتشف أسرار الحبيبين ويكتم بعضها عن بعضهما. فتحسّين أحياناً بشك نحو الحبيب بقصور أو وهن. فيدخل الحبّ يناقشك ويدافع، وهو ربما يعلم ما تخشينه، لكنه يبذل جهده لينجح لأنه يحيا وروحه تفرح باقتراب الحبيبين. والحبّ لا ينتقل من تجربة إلى أخرى، بل يبقى الحبّ الذي انتهى حيّاً ذابلاً، يشيخ ويمرض ويحسد الحبّ الجديد. وأحياناً يتآمر لإفشاله، ويتدخل لإعادة إنعاش العلاقة بين الحبيبين، فيهمس لكل منهما مقارناً داعياً إلى عدم الاستسلام. ولا يستسلم الحبّ إلا عندما يتحقّق من جموح الحبّ الجديد، واشتعاله بما كان مفقوداً معه. فيحزن أكثر ويموت كمداً. ولأنه حسود متعصب لذاته، يلقي العبء على من دخل من الحبيبين في حبّ جديد، ويعاتبه ويعاديه ويتّهمه بالأنانية ويبحث عن أسبابه ليتّهمه بـ«المصلحة» حتى يكتشف أنه يظلمه، وأن الشريك كان فاشلاً ولا يستحق دفاعه عنه. فيندم فينقلب عليه بحماسة، ويبقى يتقلب حتى يحدّد خصمه بين الحبيبين. فيتحول الحبّ من ملاك إلى شيطان، ويبدأ يوسوس لشقيقه الحبّ الآخر ويحاول أن يستدرجه لأسرار الحبيبين، إما تشجيعاً للنجاح إذا كان الإنصاف قد وضعه في صف الحبّ الجديد، أو يسعى للفتنة تخريباً للحبّ الجديد إذا تيقن من مظلومية الحبيب القديم. وإذا اجتمع الحبّ القديم والحبّ الجيد على نجاح حبّ جديد، تتجدّد حياة الحبيب واندمجت حياة الحب الأول بالثاني. فلا موت ولا شيخوخة. وإذا التقيا على خراب الحبّ الجديد هرم الحبّ الأول وأكتئب الحبّ الثاني، وبدأ الموت يصير قدر الحبّ القديم كما الحبّ الجديد. فالحبّ الذي يلي حبّاً كبيراً لا يحيا إلا إذا صار أكبر. فقالت له: أفرحتني أننا نأتي كلانا إلى حبنا من حبّ كبير إلى حبّنا الأكبر.

فطبع قبلة على جبينها ومضى...

قالت له: أحبّ فيك الشهامة والاستقامة. ولا أحبّ أنك تعيشني كتاباً كمن يصحّح النصوص، تحبّ أن تضع فوق كلّ حرفٍ علامة. والحياة فعل إهمال أحياناً واستهتار أحياناً واضطراب وحيرة كثيراً. وليس الحبّ الأمر الوحيد الذي يستهلكنا ونعيشه في الحياة. وليس الحبيب دائماً مستعداً وقادراً لجميل القول أو مجرّد كلمة في متن قصيدة. ومثلما نساوم على أمور كثيرة في حياتنا لأجل الحبّ، تأتي لحظات تستدعي أن نساوم على الحبّ لأجل الحياة، لأن الحياة قطار ونحن ركاب ننزل إلى محطة ونغادر أخرى حتى نصل إلى حيث أقدارنا. والتسامح هو فعل إهمال وتغاض، لأن الحبّ يمنحنا قوّة الضعف. وأنت لا تريد أن تضعف. والحبّ أن ننسى وأنت لا تريد أن تنسى. والحبّ أن نتقبل أننا لسنا للحبّ وحده خُلقنا، وأن علينا في الحياة أعباء نحتاج الحبّ فيها سنداً يعيش التضحية لا منافساً يطلب الحقوق.

فقال لها: أخشى لعبة القطارات وسكك الحديد. فقد يكون قطار كلٍّ منّا قد التقى بقطار الآخر في آخر محطة، وقد حان وقت الافتراق بقطارين، لكلٍّ منهما وجهة معاكسة لقطار الآخر. وتبقى الذكريات.

وعانقها قائلاً: سأبقى في هذه المحطة وأفترضك معي حتى عودتك، أو تغلق المحطة أبوابها في وجهي.

صباحات

● قال الصباح: الحلّ القادم في سورية أساسه انتخابات. وكلّ أعداء سورية يحدّدون نصيبهم من الناخبين عبر كوتا المهاجرين الذين سيستقبلونهم، ومكان المجازر التي سيرتكبونها ونوعها لملء الفراغات بأسماء المهاجرين الذين يجب أن يزرع الخوف والحقد بينهم ليهاجروا وينتخبوا ضدّ وطنهم وفاءً لمن آواهم. فانتبهوا من صباح تصحون فيه على متن قارب بدلاً من الوطن، وتنتخبون العتمة بدلاً من الصباح.

● قال الصباح: الصباح يعلم درجة الألم والمرارة التي تدفع إلى الهجرة، ولا يقول إن المتمسكين بأرضهم على رغم القهر والقلق خير من المغتربين عنها. لكنه يميّز بين المغتربين أصنافاً بين الذين هم أصلاً مغتربون ولا يبخلون على الوطن بكل دعم. والذين صاروا خناجر في ظهر وطنهم، وبين الذين رحلوا في الأزمات لكن بين أيديهم ما يكفي لتكون هجرتهم شرعية ومشروعة، وبين الذين يرمون أنفسهم في مخاطرة يبيعون ماضيهم وحاضرهم لتأمين أكلافها الباهظة وهم فقراء، ويخوضونها بين الحياة والموت ولا أمل لهم ولا ثقة ببلوغ شاطئ آمن... لهؤلاء الضحايا يحزن الصباح ويراهم مقامرين أو أغبياء أو ضحايا بسطاء للمتاجرات الرخيصة كتجارة المخدّرات. نفهم ضحاياها ولا نعذرهم... كلام قد لا يبدو إنسانياً لكنه كلام الصباح لأن في الوطن بدائل كثيرة للمقامرات المجنونة، أقلّ عذاباً وكلفة لكن لا وهم فيها ولا خلاص سريعاً كنشوة المخدّرات... للصباح الحزين على المهاجرين الضحايا يقول الصباح... حتى موتكم تحوّل إلى تجارة ضدّ الوطن. والذين سيمولون رحلاتكم من شيوخ الخليج يرون فيكم وباءً لا يُدخلونه إلى بلادهم... بوركت القلوب العامرة بحبّ أوطانها تخوض معها وفيها بثقة طريق الجلجلة حتى النصر!

● قال الصباح: بعض الكلمات نشتهيها كالياسمين، إن تنشقناها تكون كالعنبر، وإن أطلقناها تصير ورداً أحمر، وإن بقيت في الحلق فقطعة سكر. وبعض الكلمات تشبه هذا الغبار، إن قلناها تسبّب الاحتناق، وإن ابتلعناها تسبّب الإرهاق، فتبقى في الحلق مُرّة المذاق. فليكن اختيار الكلام في الصباح بعض من الحبّ ومن السماح. فالحياة فنّ صنع الابتسامة وصنع الأقراح... وإلا فليكن في الجدّ موقف والموقف سلاح.

● قال الصباح: في حياتنا قلّة يدخلون ولا باب لخروجهم. لأنهم يصيرون أحبةً نخترع لهم الصفات لنقفل عليهم أبواب قلوبنا. وقلة يدخلون مرّة ويخرجون للأبد. وكثيرون يمضون العمر على الأبواب، والقلّة التي في القلب لا نحسب معها الوقت أو المصالح لو أقامت لها أحياناً حساباً، ونعرف أنها قلة تشبهنا، ومرّات كثيرة تبادلنا بالمثل، فتتحمل أوجاعنا مثلما تحملنا، وإلا صارت الحياة عقاباً فنشتري وإياهم لمساحة اللقاء أسباباً... ونستبدل الأسماء ونسمّي أحياناً النقاش عتاباً وأحياناً نفتقد صراخهم أو غضبهم أو احتياراتهم واختياراتهم فنخترع للحديث أبواباً، ولهؤلاء كان الصباح.

● قال الصباح: لا يمكنك اتخاذ أكثر من وطن. والوطن لا يلبي دفتر شروط... المهاجرون يختارون بلداً بدفاتر شروطهم ويسمّونه وطناً ثانياً ويمنحونه ولاءهم وخير عطائهم وكثيراً من مشاعرهم. ويحتفظون للوطن الأول بالحنين والشيخوخة ويقولون إنها الحياة... وفي المحصّلة، الوطن مسؤول، وفي حالة موازية يكون الوطن كالجسد لا نغادره إلا في موتنا، ونسعى لتكون الحياة معه الأمثل، لأنه بعيوننا الأحلى... تلك خيارات يراها ويعرفها كل صباح... يعذر الصباح الذين هاجروا قبل وعيهم معنى الوطن، والذين حاولوا التعويض بتأكيد انتمائهم لوعيهم كل صباح... أما النازحون الذين يهربون من الحرب فمعذورون بشرط عدم الانتحار وتفضيل النزوح داخل الوطن على الوقوع فريسة للعصابات واللصوص.

● قال الصباح: قولوا لواشنطن أنّ سمير القنطار صباح كامل... «وشو جاب الأوقية للقنطار»!

رياضيات في الكلام

● بوصلة خيارات البشر، الزمن كوحدة قياس لاستثمار أعمارهم.

● السكينة أغلى من الفرح ومن الأمان، لأنها فرح آمن وأمن مفرح. فالفرح غير الآمن عابر مهما طال، والأمن بلا فرح سجن مديد.

● الأصفر في الهواء داء، وفي الأرض ثراء، وشمس في السماء.

● من يبدأ من النهايات ويعتقدها لعبة ذكاء، سينتهي في البدايات ويكتشف الغباء!

خسارة

قال لها: ما يؤلمني، تلك الأمور الجميلة التي لن تكون ثانية أبداً. همسات حبّ تحت ضوء قمر المساء. لمسات بريئة في تفادي عبث ريح السماء. عيون تشخص نحوي بكل ما أوتيَت من لهفة وصفاء. كلّها أمور تركتها تتسرّب منّي كماء فوق الرمال. كيف نقنع أنفسنا أننا امتلكنا إنساناً؟ كيف يحدث هذا الخداع؟ عن غير قصد اخترق سيف انشغالك قلبها الحنون. فتسللت إليه ظلال الصمت، البعد والشجون. ليس هناك أسوأ من أن تغدو وحيداً لأنك أضعت مرآتك الحقيقة في رحلة الحياة.

«إلى الأبد» كانت جملتي الروتينية! فإذ بفؤادي خانته ضلوعه وصرت أنا الجلاد والضحية. صرت وحيداً تماماً حزيناً. كشجرة جفّت فيها الجذور، تترك أوراقها تتهاوى مرّة للريح وأخرى للندى.

رانيا الصوص

مخيّلة وصوَر

ما أبدعَ مخيّلة الإنسان! نرسم بالصوت شكلاً لأحدهم، ونرسم بالكلمة صورةً ما، وبالصورة نرسم صورةً أخرى، مشابهةً أو مختلفة، لكنّها حتماً ليست كالأصل. إنّ تعاملنا مع الآخر أو مع الأشياء مُتَماه مع ذاتنا إلى حدّ الانصهار. إنّنا نُلبس مَنْ وما حولنا، ما تنسجه ذواتنا، حتّى إذا ما تبدّلت الأردية، تبعثرت الصوَر، واختلطتَ الألوان، وتداخلت الأشكال، فيتملكنا الشك والأوهام، وعلى رغم ذلك نصدر الأحكام... وكم من بريء نفّذ به الإعدام، وما أكثر الجُناة الذين شملهم عفوٌ عام! لماذا يطلق الإنسان لنفسه العنان، لترمي إسقاطاتها جزافاً على الأنام؟ لا نتكلم هنا عمّن سبقت أعمالُهم الكلام، فالفعل حجّة دامغة تمهر سجلّ الأيام، وإن كانت، حتّى الأفعال، لا يجرّدها المنطق من دوافع وأحوال. ولكنّنا نُمعن النظر في مَنْ نصّبوا أنفسهم قُضاةً، بعدما كسروا قوس الحقّ، وحطموا الميزان. يذهب بنا القلم إلى حيث خبايا الألم، وحين يسيل الحبر، يتنحّى الصبر، فترتسم الحروف كلمات، وفي ظلال الكلمات صور... إنّما بديعة هنا الصوَر، إيحاءات ألوانها أطياف ناس، حَبَتهم السماء محيّا قمر، ووسمت نفوسَهم باللطف والخفر، وأسبغت عليهم سحر البيانً والفكر! تسمعهم تُسرّ، تراهم تفخر، تجالسهم فتخالجك الغبطة أكثر. ملكٌ أنتَ، تثرى بإنسانيتَك والجوهر! يسود المرء، يستبدّ، يسخر، ويتجبّر... ولكنْ، مَنْ على شمس المحبّة أقدَر؟!

سحر عبد الخالق

بين الخرافة والعقل

تقول الحكاية إن كريستوف كولومبوس إبان رحلته الرابعة باتجاه العالم الجديد، وصل إلى «الأنتيل» بمركبين متضرّرين يعانيان نقصاً حاداً بالمواد الغذائية. وبعدما رسا أمام سواحل جامايكا، عانى سوء التغذية وكافح تمرّداً. وبعد عدّة مشاكل مع أهالي جامايكا، قرّر هؤلاء عدم بيع الأغذية للأوروبيين.

ذات يوم، وبينما كان كولومبوس يقرأ تقويم الفلكيّ «زاكوتو»، تبيّن له أن يوم التاسع والعشرين من شباط المقبل قد يشهد خسوفاً للقمر.

يوم الخسوف الموعود، استدعى كولومبوس الزعماء الجامايكيين وأنذرهم إن لم يقدّموا له المؤن، فسيعمد بقدرته الى إخفاء القمر! فسخر منه الزعماء. وعند حلول الليل، بدأ خسوف القمر ودبّ الذّعر في الجامايكيين. وللتوّ، تبرّع كولومبوس بإعادة القمر إن عاهده أهالي جامايكا على تزويده بالمؤن.

وكان لكولومبوس ما أراد ولأهالي جامايكا قمرهم الجميل الذي عاد يلمع من جديد بعد انحسار الخسوف. وتدافع الجامايكيون، عرفاناً بالجميل، يضعون المؤن عند أقدام المستكشف، ما أنقذ كولومبوس ورجاله من جوع مُحتّم.

بيع الخرافة لأصحاب الجهل، والتحكّم بالسُذّج من أقوى الأسلحة التي اعتمد عليها أصحاب اللّحى وتجّار الدين في كل العصور، حتى سيطروا على المجتمعات المذعورة من إغضاب الله ومن جهنم يُحرقون فيها وعذاب مرير إن هم خالفوا رغباته التي ينقلها إليهم المحتالون لاستعبادهم وجعلهم أدوات طيّعة في أيديهم، ينفّذون لهم ما يريدون فقط حين يلوّحون لهم بغضب الله حيناً، وحيناً بجنّة فيها من الحوريات المنتظرات على نار ليُشبعن رغبات المطيعين من دون نقاش.

لا تتوقعوا أن يعمّ السلام يوماً والشعوب بغالبيتها تخاف من رجل الدين أكثر من خوفها الله. ولا تتوقعوا أن ننعم بالأمان وهناك من يعتقد أن المساجد والكنائس أهمّ من المسارح ودور الثقافة. لا تظنوا أننا سنعيش إنسانيتنا والغالبية تلهث وراء الغرائز، والعقول في سبات وموت سريريّ.

منذ مئات السنين حتى الآن ماذا تغيّر؟ ما زال الكثيرون جداً يؤمنون أن أميركا تحميهم من أخطار هي صنعتها، ووحوش هي غذّتها. وما زال هناك من يذبح تقرّباً من الله. وما زال هناك من يؤمن أن الخسوف غضب لكثرة الآثام. وما زلنا نعتقد أن الطوفان غضب، والزلازل لعنة، وانحباس المطر عقاب على الذنوب. ولا ندرك أنها طبيعة نعبث بها فتعبث بنا، وأننا نحن من يقطع الأشجار ونترك الأراضي للشوك. وأننا نحن من ترك الفاسقين يكبرون ليُصبحوا أقوى من أيّ قانون وأيّ عقاب. وأننا نحن من تجاهلنا التطرّف ولم نقتله في صغره حتى أصبح وحشاً يبتلعنا.

صباح من تجذّروا في الأرض حتى الممات... صباح من يحاربون الخرافة والجهل ويعشقون الحياة... صباح الجيش السوري ببواسله الأبرار.

وفاء حسن

أعانق الحياة حبّاً ولن أفارقها إلا حبّاً

كما في كل يوم، وفي طريق عودتي بعد عمل طويل، أمرّ بنظري على أماكن كثيرة من وطني الذي كان ولا يزال يعجّ بخجل الحياة، إنما مع فارق بسيط يمكن لأيّ شخص أن يلاحظه على وجوه الناس الممتلئة بالحزن، والتي اتعبتها سنون الحرب. ليمر في ذهني قول مشهور للشاعر محمود درويش: «على هذه الأرض ما يستحقّ الحياة»، ويذهب بي إلى حلم جميل عن وطن الياسمين. لكن، وفي لحظات متسارعة، استيقظت فجأة في لحظة تفصل بين الحياة والموت. هي لحظة أدركت فيها أنني لا أزال على قيد الحياة. فبعدما انتُشلتُ من تحت ركام الحرب على أرض لطالما أحببتها، لم أفكر بنفسي وبجراحي وآلامي التي حملتها عنوة. فقد كان جلّ تفكيري بأمّي. فأنا كمحمود درويش أخجل من دمع أمي، إذا متّ.

ذهبت مسرعة بما تبقى لي من قوة، تائهة أبحث عن أمان فقدته في وطني بعدما اجتاحه طالبو «الحرّية والعدالة» وسرقوا كلّ شيء منه ومنّا. أسرعت من دون إدراك، إلى أن استوقفني شخص أعرفه. ربما كان توقفي عنده ضروري كي أنفض غبار الحرب عن جسدي وثيابي، لأصبح جديرة بلقاء كان من المفترض أن يكون اعتيادياً من دون أن يفزعه شكل الحرب المرسوم على جسدي. وبعدما أصبحت جاهزة وكأنني عروس جُهّزت لتكون بأحسن حال ليستقبلها حبيبها، عاودت المسير، إنما بخطى مثقلة وعيون نازفة من الألم وثغر مبتسم على رغم الجراح، وروح تأبى الخضوع كمقاوم على جبهات القتال، لألتقي بحبيبتي.

اقتربت من المنزل واستقبلتني كعادتها بابتسامة كمن ينتظر كل أحبابه. فهي أيضاً خسرت جميع من أحبّت وربّت لتسرقهم غربة فرضتها عليهم الحياة. ولم يبق غيري إلى جانبها من أحبتها. لكن ابتسامتها غابت حين رأت اللون الأحمر يغطي جسدي. تهاويت بين أحضانها، وكأن سؤالها لي كان الضربة الأخيرة التي أسقطتني. في هذه اللحظات، وأنا بين أحضانها شعرت بأمان. علا صوت بكائي على ما رأيت قبل أن أصل إلى برّ الأمان.

صوت قويّ مدوّ. أنا على أرض الوطن، لكنني ما زلت على قيد الحياة. من الجهة اليمنى كانت جثث الشهداء مرمية غارقة بالدماء، ومن الناحية الأخرى صوت مَن أصيب بشظايا الغدر ودماؤه تسيل لتروي أرضا تربّى عليها. وهناك في البعيد أناس يتدافعون خوفاً من الموت القادم من السماء بقذائف متساقطة بحقد.

عويل، صراخ، غبار، أصوات تنذر بالموت، أطفال يبكون، ورجال يرفعون كلّ جريح ومصاب وشهيد تعمّد بدمه. تملّكني الخوف وعاد إليّ وكأني لم أغادر ذلك المكان المرعب. إلى أن جاء صوت أمّي كصوت وطن وعدني بأمان، ربما موقت لكنه وعدني. لا تخافي، أنا هنا وأنت بين أحضاني. حينئذ فقط، شعرت بالأمان. فأنا ما زلت أعانق الحياة حبّاً ولن أفارقها إلا حبّاً.

ربى شلهوب